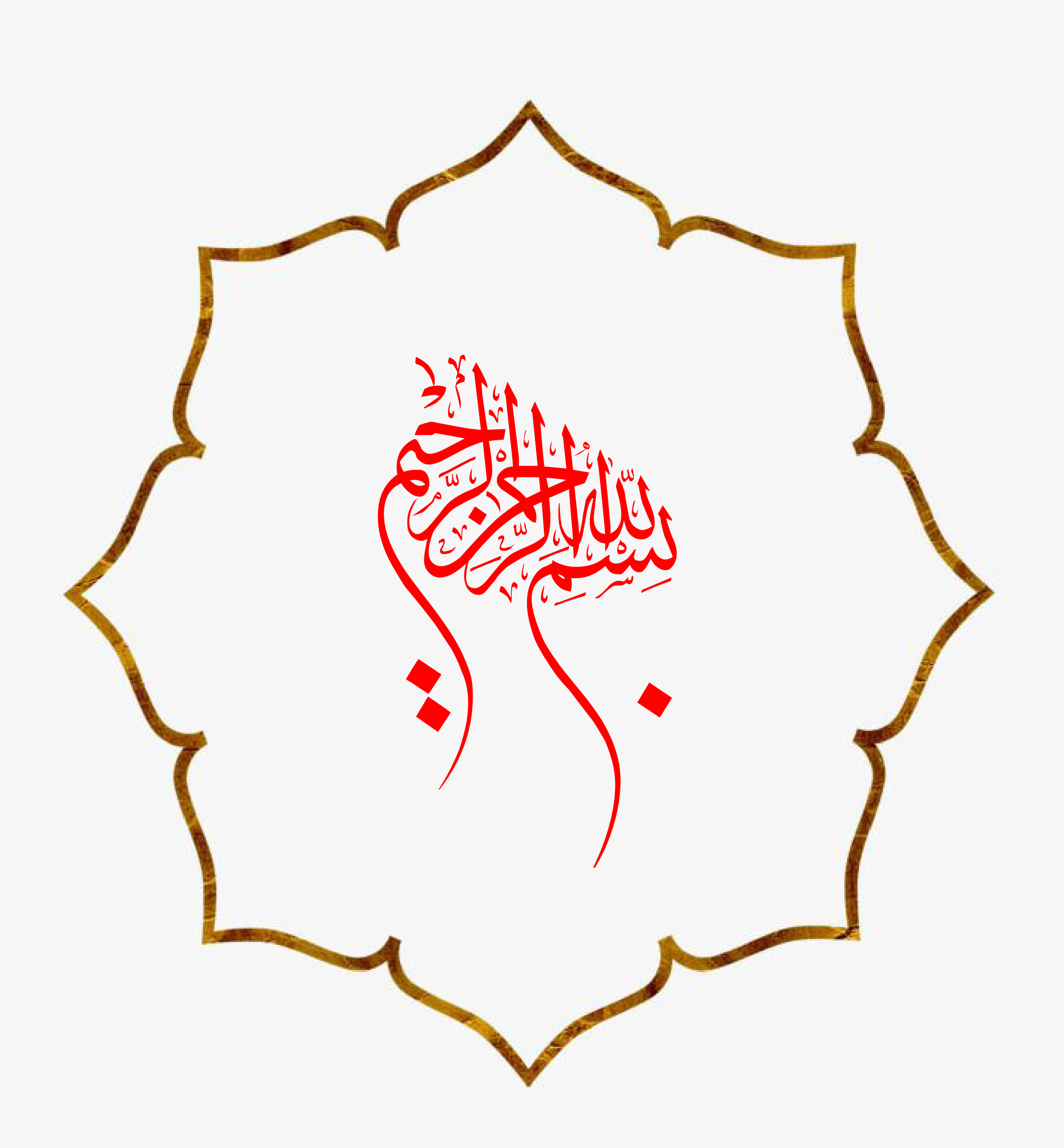
مفهوم السعادة
وسبب الشقاء

أ . د / مرضي بن مشوح العنزي

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالإنسان يجري في هذا الدنيا بحثًا عن السعادة، فهي الغاية لجميع البشر، وعند كل شخص مفهوم عن السعادة، وقد يكون مفهومها سببًا للشقاء، فمن ذلك أن بعض الناس يظن أنه لابد أن يكون سعيدًا طوال الوقت، فإذا مرت به أوقات ألم أو معاناة، ظل يحرق نفسه باللوم، وقد يذهب سبب هذه الأوقات، لكنه لا يزال في شقاء؛ لمرور وقت غير سعيد عليه،

مـع أن الحياة لا تخلـو من منغصـات وآلام ولعلها هي التي تعطي السـعادة طعمًا حقيقيا، وقد ذكر عبد الوهاب المسـيري أن السعادة كالعمل الفني، "لا بد أن يكد المرء ويتعب في صياغته وصنعه"..

ومـمـا يجعـل المـرء يضيف علـى أوقـات العناء والألم شـقاء وهمًا ظنه أن الناس يعيشون في سعادة دائمة، وأنه الوحيد الذي يعاني، خصوصًا لمن يتابع كلام الناس عن أنفسهم في أدوات التواصل وغيرها، فغالب البشـر يظهرون جوانب المتعـة، ويصورون حـالات يُفهـم منها أنهـم سـعداء.. والظـن أكذب الحديث، فالجميع يعانون، ولم يسلم بشر من هم أو حزن أو قلق، لكن الناس في الغالب لا يحبون إظهار

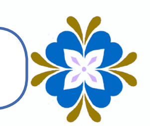


معاناتهم، ويشعر بعضهم بالنقص إذا بيّن للناس أنه بشر يعاني كما يعانون..

ولبعض الخطباء والوعاظ دور في تكوين مفهوم عن السعادة يسبب شقاء، وهو أنهم يربطون السعادة بالإيمان (فقط)، فيظن بعض الناس أنه عندما يشعر بضيق أو معاناة أن عنده نقصًا في الإيمان فيدخل دوامة الشك في إيمانه، والبحث عن الذنوب التي وقع بها، مع أنه ليس بالضرورة أن يكون الضيق بسبب الذنوب والبعد عن الله، فقد يصاب المرء وهو من أقرب الناس لله بمرض.

ومن أعراض هذا المرض الضيق والقلق، وقد يفقد حبيبا فيكون كيعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَٱبْيَضَّتْ

عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ [سورة يوسف: آية ٨٤] ومن أفضل من حقق الإيمان والعبودية هو نبينا ﷺ، وقد قال الله له في القرآن: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٩٧]، ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٣٣]، فمر ﷺ بأوقات حزن وضيق، ولا يعني ذلك أن المؤمن لا يستغفر عما يعلم وعما لا يعلم، فالنبي ﷺ قال: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»، بل المراد ألا يكون الحزن والضيق سببًا في سوء الظن بالله، وكأن الله يقف لعباده المؤمنين بالمرصاد، فأول ما يقعون في الخطأ يعاجلهم بالعقوبة، وهو الغفور الرحيم الذي




وسعت رحمته كل شيء، ولو أراد الله خلقًا لا يذنبون لاكتفى بخلق الملائكة..

وقد يديم المرء القراءة في كتب التنمية الذاتية وتطوير الذات والنجاح والسعادة أو يكثر حضور الدورات فيها فيتكون عنده مفهوم للسعادة غير واقعي، ومع أن لهذه الكتب والدورات نفعًا كبيرًا فإنها تكون أحيانًا سببا للشقاء؛ وذلك أنها تتكلم في الغالب عن المُثل العليا، وفي بعضها بعدٌ عن الواقع، أو أنها كتبت في واقع مختلف، والذي يريد أن يطبق كل ما فيها بأن يكون ناجحا سعيداً مثاليًا طول الوقت لن يستطيع، حتى بعض الذين ألفوها أو ألقوا فيها دورات لم يستطيعوا، بل إن بعضهم يبحث

ويكتب نصائح يوجهها لنفسه ثم تكثر ثم ينشرها، فيظن الناس أن يمتثل ما قال، كصاحبة كتاب "قوة الصبر" فقد ذكرت في المقدمة أنها مصابة بمرض قلة الصبر وأنها تغضب بسرعة؛ لذلك جمعت مادة هذا الكتاب، وهي صادقة وبينت معاناتها، وكثير لا يرون أهمية لبيان آلامهم.

ومن رحمة الله بخلقه أن جعل بعض الأذكياء والحكماء يعانون ليكتبوا للناس كتبًا تعد علامات ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [سورة النحل: آية ١٦] لكن القارئ الذي لا يعرفهم يظن أنهم يفعلون ما يقولون، وهم يحاولون وإن لم يبلغوا، فعندما تقع منه هفوة بشرية، ثم يتذكر ما التزم به من محاولة تطبيق ما بهذه

الكتب، وأنه لم يكن كالكاتب فلان أو الملقي فلان، يأتيه الشقاء من باب تأنيب الضمير واللوم..

ثم إن غالـب هذه الكتب التطويرية ربطت النجاح والسعادة بالشهرة والمال والمناصب، ففلان كان فقيرًا ثم صـار من أغنياء العالم، وفـلان كان غبيًا ثم صار مخترعًا، وفلان وفلان من قصص المشاهير، فيربط القـارئ -دون وعي- النجاحَ والسـعادة بالشـهرة، فيظـل جاهدا باحثا عن الشـهرة وعن حديث الناس عنه، وقد يحقـق إنجازات عدة لكنه يشـعر بالبؤس لأنه لم يجد الشـهرة وحديث المجالس والصحف عنـه، ولو غيّر في مفهـوم النجاح والسـعادة، واقتنع بالنجاحـات الذاتيـة التي حققها مع نفسـه -ولو لم

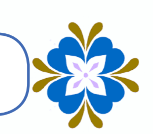
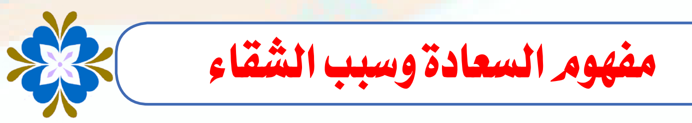
يعلم بها الناس - لا ستراح، فبعض الناس حياته عبارة عـن نجاحـات الآخرين، كثير من النـاس يتمنون ما عنده، وحديث أنفسهم يا ليت لنا مثل ما أوتي فلان، وفـلان هذا يعاني؛ لأنه لم تكتـب عنه صحيفة أو لم يشر له بالبنان.

هناك العديـد من الناجحين، ومفهوم النجاح ليس مرتبطًا بالشهرة، فالإنسان قد يكون فاشلا في المعايير السـائدة، لكنه ناجـح في معايير أخـرى أكثر أصالة، فابحـث في نجاحاتك، وفكـر في إنجازاتك، فكر في النعـم التي تتقلـب بهـا، و﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الحجر: آية ٨٨].

ومما يكوّن مفهومـًا عن السعادة يسبب شقاء ربط السعادة بتقليد بعض النوادر من البشر، وجعل هؤلاء الاستثناءات من البشـر حياة كاملة، فهناك من البشر مـن أعطوا قدرات وطاقات عاليـة، من قوة حافظة، وسـرعة بديهة، وغيرها مـن المواهب، فيريد بعض الناس أن يكون كحفظ فلان أو كذكاء فلان، فعندما لا يحقق ذلك يشـعر بالحزن، ويدوم شـقاؤه عندما يريد أن تكون حياته مجمعًا لنوادر البشـر، فيريد أن يكون في نفس الوقت كحفظ فلان وذكاء فلان ومقدما في شتى العلوم، يريد أن يكون في النحو كسيبويه وفي الفقـه كأبي حنيفة، وفي الحفظ كالبخاري، وقد رأى الشـافعي أحـد طلابه وهو يريـد أن يكـون إماما في

الفقـه وإماما في الحديث، فقال له: "يَا يُوسُـفُ تُرِيدُ أَنْ تَحْفَـظَ الْحَدِيثَ وَتَحْفَظَ الْفِقْـهَ؟ هَيْهَاتَ"، وقال ابن حزم: "من طلب الاحتواء على كل علم أوشـك أن ينقطع وينحسر، ولا يحصل على شيءٍ".

ومما يسـبب الشقاء عدم مراعاة الظروف والواقع الـذي يعيش فيه، فهو يريـد أن يحقق الهدف الذي في ذهنـه دون مراعـاة لظروفـه، ولو حقـق النجاح على مسـتوى ظروفه واقتنع بذلك لعاش عيشة هنية، فالله أرسل أنبياء إلى قومهم فقط، ولم يأمرهم بغير البلاغ، وبعضهم لم تثمر جهوده، يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، وهو يعد عند الله من الناجحين السعداء.

وقد يكون الإنسان في خلقته لا يستطيع إدراك شيء ثم يظل جاهدًا لتحقيقه وهو لن يستطيع له، فيدوم همه وشقاؤه، فبعض الناس ليس بعيدا في تفكيره، محدود الذكاء ثم يريد إتقان علم يحتاج لعمق وذكاء فعندما يفشل يشعر بالحزن، وقد يأخذ هذا العلم لكن ليس كما ينبغي فيحفظ ما يحتاج لذكاء ثم يأخذ شهادة عليا فيه وعندما يجد من فاقه في هذا التخصص من أقرانه يجد حسرة، لظنه أنه بلغ القمة فيه، ولن يفوقه أحد، ولو عرف قدراته وسار وفقا لها لاستراح وأبدع.

جاء في كتاب الخصائص لابن جني قصة عن الأصمعي، وهي أنه أراد من الخليل أن يعلمه

العـروض فتعـذر ذلك علـى الأصمعـي وبعد عنه؛ فيئـس الخليـل منه فقال لـه يومًا: يا أبا سـعيد كيف تقطع قول الشاعر:

إذا لـم تسـتطع شـيئا فدعـه
وجـــاوزه إلـــى مـــا تـسـتـطـيعُ

ففهم الأصمعي أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العـروض فلم يعاوده فيه، ولم يقف عند هذا، ويترك كل العلم لأنه لم يسـتطع لفن مـن فنونه، بل جاوزه لما يسـتطيع، وصار إماما من أئمة اللغة، ولم ينقص ذلك من قدر الأصمعي لأنه لم يفهم العروض.

يقول الشـيخ بكر أبو زيد: "لا تفـزع إذا لم يفتح لك في علـم من العلوم، فقد تعاصـت بعض العلوم

على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك كما يعلم من تراجمهم ومنهم الأصمعي في علم العروض والرهاوي المحدث في الخط، وابن الصلاح في المنطق وأبو مسلم النحوي في علم التصريف، والسيوطي في الحساب، وأبو عبيدة، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبو الحسن القطيعي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو حامد الغزالي، خمستهم لم يفتح لهم بالنحو"

هذه بعض الأشياء التي تجعل مفهوم السعادة ذهنيًا لا يمكن تحقيقه في الواقع، وتجعل صاحب هذا المفهوم يعاني من النقص، والتفكير في المفقود، وينسى الموجود، وينسى نعم الله عليه، وهناك

مقولة حفظناها في الصغر، وهي كنز، لكننا لم نعطها اهتماما كبيرا لكونها صارت من الموجودات ونحن نبحث في المفقودات، تقول هذه المقولة العظيمة: "القناعة كنز لا يفنى"، لو فهمنها فهما إيجابيًا، وأعدنا صياغة حياتنا لشعرنا بهذا الكنز الذي نملكه في نفوسنا، رزقني الله وإياكم القناعة، والرضا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

❋❋❋

